المحاضرة: 07

أنْواع المفردات في اللغة العربية

من حيث الأصل

تمهيد:

اللّغة كائن حيّ ينمو ويتطوّر، واللغة ظاهرة اجتماعيّة تتأثّر بما يفِد إليها، وتتغيّر بتغيّر بيئتها وأحوال أهْلِها، وتؤدّي المخالطات إلى الأخذ والإعطاء بين اللغات. فأيّ لغة لا يمكن أنْ تكتفي بثروتها الخاصة من الكلمات، كما لا يُمكن أنْ تنجو في الوقت نفسه من تأثير اللغات الأخرى أو تأثيرها في اللغات الأخرى، فاللغة تأخذ ألفاظا، كما تُعطي ألفاظا. وهذا أمر طبيعي في اللغات. ويرجع ذلك إلى عوامل منها: التّجاور الجغرافي، والاتّصال التّجاري والنّفوذ الدّيني والتّفوق العلمي والحضارة للّغة المؤثّرة. إن تبادل التأثير والتأثر بين اللغات قانون اجتماعي إنساني، وإن اقتراض بعض اللغات من بعض ظاهرة إنسانية أقام عليها فقهاء اللغة المحدثون أدلة لا تحصى.

فتداخل اللغات، قانون حتمي لا تملك أي لغة أن تنجو منه، وفي مقدماتها تبادل التأثير فيما بينها وبين اللغات الأخرى، مادام الاتصال موجودا.

يقول صبحي الصالح: والجزيرة العربية لم تكن بمعزل عن العالم سواء قبل الإسلام أو بعده. فقد كانت الجزيرة وخاصة أطرافها على صلة بما حوْلها وما جاوَرَها من البلاد، كانت على صلة وثيقة ببلاد فارس. وكانت مملكة المناذرة في الحيرة حركة اتصال دائم بين العرب والفرس. كما كانت على اتصال ببلاد الروم وكانت مملكة الغساسنة حلقة اتصال بين العرب والروم. وكان العرب على اتصال بدولة الانباط في سواء العراق. كانت اليمن حلقة وصل بين شبه الجزيرة العربية والحبشة، وكان لليهود جاليات بالعراق والشام والحجاز، كما كانت قوافل التجارة تسير من وإلى الجزيرة العربية (رحلة الشتاء والصيف) كانت تقطعها القوافل من قلب الجزيرة العربية إلى الشام والعكس... ومثل هذا كثير لا يمكن حصره.

ونتيجة لذلك، اتّصلتْ اللّغة العربية باللّغات، وأثّرتْ وتأثّرت بها، وظهر ما يُعرف في المفردات العربيّة الأصيل والدّخيل.

أوّلا: الفصيح

1. تعريف الفصيح:

أ. لغة:

ورد في « مقاييس اللغة» "(فصح) الفاء والصاد والحاء، أصل يدلّ على خلوص في شيء ونقاء من الشّوب. من ذلك: اللسان الفصيح: الطليق. والكلام الفصيح: العربي. والأصل أفصح اللبن: سكنت رغوته. وأفصح الرجل: تكلم بالعربية. وفصح جادت لغته حتى لا يلحن".

والفصيح المنطلق اللسان في القول، الذي يعرف جيد الكلام من رديئة. وقد (أفصح)، إذا (تكلم بالفصاحة). وأفصح الكلام وأفصح به، وأفصح الرجل القول.

وفي « لسان العرب» الفصاحة: البيان. وأفْصَح عن الشّيء، إذا بيّنه وكشَفَه. ولسانٌ فصيح أي طلْق. وفَصُح الأعجميّ: تكلّم بالعربيّة وفُهِم عنه، ولم يَلْحَن. والفصيح في اللغة: المُنطلِقُ اللسان في القول الذي يعرف جيّد الكلام من رديئه. ويوم مفْصح: لا غيْم فيه ولا قرّ. والفصْح: الصّحو من القرّ. والمُفصِح من اللبن، وفصُح اللّبن إذا أُخِذَتْ عنه الرّغوة. وأفصحتْ الشاة والناقة: خلُص لبنُهما.

ومنه فالفصاحة تحمل معاني الإبانة والكشف والصفاء والتّخليص والسّلامة والوضوح والسلامة من الإبهام.

ب. اصطلاحا:

يعرّف الجرجاني الفصاحة بقوْله: "وهي في المفْرد: خُلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس، وفي الكلام: خُلوصه من ضعْف التّأليف وتنافر الكلمات مع فصاحتها... وفي المتكلّم: ملكة يَقْتَدِر بها على التّعبير عن المقصود بلفظ فصيح". ومنه، فالفصاحة تعني خلوص الكلام من التّعقيد، والقدْرة على التّعبير بسهولة ووضوح. والفصاحة في أصْل وضْعها تعني صفاءَ اللغة وخلوصَها من كلّ غريب. والفصيح في اللغة العربيّة هو الكلام الذي ينتمي إلى اللّسان العربي الصافي، الخالص من كلّ شوائب العُجْمَة، تتواصَل به القبائل العربيّة منذ العصر الجاهلي. هو ما أنتَجَه فصحاء العرب في عصور الاحتجاج قبل نهاية القرن الثاني للهجرة." فالعربيّة الفصحى عندهم هي لغة البدو؛ فالعربي البدوي هو الحَكَم الفصل في العربية الصحيحة، وهو لا يُخطىء في التحدّث بها عندهم، ولا يطاوعه لسانه ـ إنْ أراد ـ على الخطأ".

وقدْ قام اللغويّون العرب أمثال الخليل والأصمعي وسيبويه... في رِحْلاتهم لجمْع اللغة من البوادي، وقد أبعدوا القبائل التي كان لها احتكاك بالأعاجِم المجاورين لجزيرة العرب، مثل الفُرْس والرّوم والحبَشَة. وأخُذوا من القبائل التي كانت مواطِنُها بعيدة عن هذا الاحتكاك، وهي: قريش وتميم وأسد وقيس وهُذيْل وطَيْء...

وقد ألّف في الفصيح أبو العباس ثعلب (ت291هـ) كتابه (الفصيح)، حيث ورد فيه "هذا كتاب اختيار فصيح الكلام، مما يجرى في كلام الناس وكتبهم، منه ما فيه واحدة والناس على خلافها، فأخبرنا

بصواب ذلك، ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فاخترنا أفصحهن، ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا، فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى، فأخبرنا بهما، وألفناه أبوابا، من ذلك". وقد ورد في باب « ما أدخلت فيه الهاء من وصف المذكر»

" تقول: رجلٌ راويةٌ للشِّعر. ورجل علَّامة ونسَّابة، ومجْذامة، ومِطْرابة، ومِعْزابة، وذلك إذا مدحوه، كأنما أرادوا به: داهية. وكذلك إذا ذموه فقالوا: رجل لحّانة، وهِلباجَة، ورجل فَقّاقَةٌ جخابة، في حروف كثيرة كأنهم أرادوا به: بهيمة".

2/ شروط الفصاحة:

من شروط الفصاحة في المفرد: خلوصه من تَنَافُرِ الحروف ومن الغَرَابة ومن مخالفة القياس اللغوي:

أ/ التنافر:

فالتنافر منه ما تكونُ الكلمةُ بسببه مُتناهيةً في الثِّقَل على اللسان وعُسْر النُّطْق بها كما رُوي أنّ أعرابيا سُئل عن ناقته فقال تركتها تَرْعى الهُعْخُع. ومنه ما هو دون ذلك كلفظ مستشزر في قول امرىء القيس: (غَدَائرُه مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلاَ) وذلك لتوسُّط الشين وهي مَهْموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة والزاي وهي مجهورة.

ب/ الغرابة:

وهي أن تكون الكلمة وحْشِيَّة لا يظهر معناها فيحتاج في معرفتها إلى أن يبحث عنها في كتب اللغة كما رُوي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس فقال: ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنَّة اِفْرَنْقِعوا عَنِّي أي اجْتَمَعْتم تنحّوا.

أو يخرج لها وجه بعيد كما في قول العجاج: (وفَاحِماً ومَرْسِنَا مُسَرَّجا) فإنّه لم يعرف ما أراد بقوله: مسرجا حتى اختلف في تخريجه فقيل: هو من قولهم للسُّيوف سُرَيْجِيَّة منسوبة إلى قَيْن يقال له سُرَيج يريد أنه في الاستواء والدِّقة كالسيف السُّرَيْجَي وقيل من السراج يريد أنه في البريق كالسراج.

ج/ مخالفة القياس:

وذلك كقول الشاعر: (الحمدُ لله العَلِيّ الأَجْلَل)، فإنّ القياس الأجَلّ بالإدغام.

• وزاد بعضُهم في شروط الفصاحة:

خلوصُه من الكراهة في السَّمْع بأنْ يمجَّ الكلمةَ وينبو عن سماعها كما ينبو عن سماع الأصوات المُنْكَرة، فإنّ اللَّفظ من قبيل الأصوات منها ما تستلذ النفسُ بسماعه ومنها ما تكره سماعَه كلفظ الجِرِشَّي

في قول أبي الطيب: (كريمُ الجِرِشَّي شريفُ النَّسَبْ)، أي كريم النفس وهو مردود لأن الكراهَة لِكَوْنِ اللفظ حُوشِيّاً فهو داخلٌ في الغرابة.

وممّا يروى أنّ علامة كون الكلمة فصيحة أنْ يكون استعمالُ العربِ الموثوقِ بعربيتهم لها كثيرا أو أكثرَ من استعمالهم ما بمَعْنَاها. وقال الجاربردي في شرح الشَّافية: فإنْ قلتَ: ما يُقْصَدُ بالفصيح وبأيِّ شيءٍ يُعْلَم أنه فصيح، قلت أنْ يكونَ اللفظُ على أَلْسِنَة الفصحاءِ الموثوقِ بعربيتهم أدْور واستعمالهم لها أكْثر.

أمّا الفرق بين الفصاحة والبلاغة، فيقول عنه ابن سنان: "الفرق بين الفصاحة والبلاغة أنّ الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني. لا يقال في كلمة واحدة لا تدلّ على معنى يفضل عن مثلها بليغة، وإن قيل فيها إنها فصيحة. وكلّ كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه".

وقد ورَد في كتاب «الكليات»:" والفصاحة: يُوصف بهَا الْمُفْرد، وَالْكَلَام، والمتكلم والبلاغة: يُوصف بهَا الأخيران فَقَط، وَالْأَصْل فِي البلاغة أَن يجمع الْكَلَام ثَلَاثَة أَوْصَاف صَوَابا فِي مَوضِع اللُّغَة وطبقا للمعنى المُرَاد مِنْهُ وصدقا فِي نَفسه. وفصاحة الْمُفْرد: كحسن كل عُضْو من أَعْضَاء الْإِنْسَان".

"ومن صفات اللفظ الفصيح توافق الحروف ضمن الكلمة الواحدة. وقد لاحظ أبو عثمان أنّ في العربية حروفا لا تجتمع، فالجيم لا تقارن الطاء ولا القاف ولا الغين في تقديم أو تأخير، والزاي لا تقارن الطاء أو السين أو الضاد أو الدال بتقديم أو تأخير. وتقتضي الفصاحة أيضا عدم تنافر الكلمات ضمن الجملة الواحدة. وإذا تنافرت الألفاظ صعُب النطق بها وبدَتْ غير متلائمة وغير متوافقة. من ذلك قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر •• وليس قرب قبر حرب قبر

ومقياس الفصاحة في نظر الجاحظ القرآن وكلام الأعراب، إذْ فيهما تحقّقتْ الفصاحة بأعلى مستوياتها، فاعتبرا المثال الأعلى للكلام الفصيح. فكل كلام أشبههما عدّ فصيحا، وكل كلام اختلف عنهما نأى عن الفصاحة.